٣- من تراث المدرسة الماتريدية

غاية المرام
في شرح بحر الكلام

للإمام حسن بن أبي بكر المقدسي المتوفى (٨٣٦هـ/١٤٣٢م)

دراسة وتحقيق

د/ عبد الله محمد عبد الله إسماعيل
دكتوراه الفلسفة من جامعة بون بألمانيا
كلية أصول الدين بجامعة الأزهر

د/ محمد السيد أحمد شحاتة
الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين
بجامعة الأزهر

الناشر
المكتبة الأزهرية للتراث الجزيرة للنشر والتوزيع
٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف - ت: ٢٥١٢٠٨٤٧

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

المقدسي ، حسن بن أبي بكر ؛ 000 - 1432
غاية المرام في شرح بحر الكلام / لحسن بن أبي بكر المقدسي ؛ دراسة وتحقيق عبد الله محمد عبد الله إسماعيل ، محمد السيد احمد شحاتة .- ط1- القاهرة : المكتبة الأزهرية للتراث، الجزيرة للنشر والتوزيع ، 2011
ص ؛ سم (من تراث المدرسة الماتريدية ؛ 3)
تدمك : 978-977-315-268-4
1 - علم الكلام
أ - إسماعيل ، عبد الله محمد عبد الله (دارس ومحقق)
ب - شحاتة ، محمد السيد احمد (دارس ومحقق)

240

المكتبة الأزهرية للتراث
للنشر و التوزيع

العنوان .
9 درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ـ القاهرة
هاتف : 25120847
فاكس : 25128459
ص .ب : 34 الأزهر
الرمز البريدي : 11675

الطبعة الأولى
1432--2012

رقم الإيداع : 17408 / 2011
الترقيم الدولي : 978-977-315-268-4

البريد الالكتروني elazharia lel torath @hotmail .com.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي العزة والجبروت، صاحب الملك والملكوت، لا راد لحكمته، ولا مانع لإرادته، تجلى بكامل الصفات، وبديع العلم، الطريق إليه توحيده، فالحروف آياته، وتوحيده تجريده من خلقه، كل ما تصور في الأوهام فهو بخلافه.

شهدنا لك ربنا بالوحدانية، فلك الحق كل الحق في وعدك، وأمرك، وعلمك، ونشهد أن سيدنا محمداً رسول الله ﷺ، النبي المعظم، الرسول المكرم، الذي أرسله الله على فترة من الرسل، فقوم به المعوجين، وأزال به الزائغين، وحطم به الشرك وأهله، صلاة وسلاماً عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد ...

فإن كتب التراث تعد منالا غاليا، يجد فيه المتخصص بغيته، ويطلع فيه على درر كامنة خفيت على ملامح العصور الحديثة، وقد تعرض التراث الماتريدي لشيء من الإهمال، فظل مخطوطاته حبيسة في المكتبات، وعلى من يريد معرفة أراء هؤلاء هذه المدرسة، أن يرجع إلى القليل المطبوع من كتبهم – وهو قليل إذا ما قورن بجهود رجال المدرسة – أو يرجع إلى ما كتب عنهم من قبل علماء المدارس الأخرى.

مع العلم أن مصطلح أهل السنة والجماعة إذا أطلق انصرف عند علماء الكلام إلى فرقتي (الأشاعرة، والماتريدية)، فهل غاب تراث الماتريدية هملاً أو استحساناً لإخراج كتب الأشاعرة اكتفاء بها؟

مع العلم أن المدرسة الماتريدية أميل إلى الجانب العقل – الذي تحتاج إليه الأمة الآن في نهضتها الحديثة – من المدرسة الأشعرية، فكان لابد من

حصول التوازن فيما بين تراث المدرستين، فقررنا أن ننظر في ما كتب رجالات هذه المدرسة وأن نعتني بتراثهم، علّنا نساهم في النهوض بهذه الحركة العلمية بيد طولى في إخراج هذا التراث من ظلمات الأدراج ومحابسها، إلى نور يتلقاها به طلبة العلم والباحثين عن المعرفة ليرجع بذلك الفضل لأهله.

وقد وفقنا الله إلى تحقيق كتاب (بحر الكلام في أصول الدين) لأبي المعين النسفي المتوفى ٥٠٨هـ، فقمنا بتحقيقه من خمس نسخ خطية، وبمعونة الله تعالى استطعنا إخراج هذا السفر الجيد المحتوى بنص سليم، خال من النقص الذي يلحق من يقوم بالتحقيق من خلال نسخة واحدة أو اثنين.

ومن خلال دراستنا لكتاب بحر الكلام تعرفنا على شروحه، والتي من أهمها كتاب: (غاية المرام في شرح بحر الكلام) للإمام ابن بقيرة بدر الدين الحسن المقدسي، والذي برع في تحليل كتاب بحر الكلام وشرحه، فلم يترك نصاً إلا وتدخل فيه، ولم يداخل النص في الشرح كما فعل بين أبي الشريف مثلاً في المسامرة على المسايرة لابن الهمام الحنفي، أو كما فُعل أيضاً مع كتاب المواقف، ولكن بدا ابن بقيرة موضوعياً، حيث وضع نص بحر الكلام أولاً ووضحه بقوله: قال المصنف.

وبعد أن ينتهي من كلام المصنف يحدد كلامه بقوله: أقول ...، ويأخذ في شرح الكتاب شرح العالم الفاهم المدقق المحقق، الذي لم يقتصر على مجرد عرض النص وتحليله من الناحية اللغوية، وإنما استعان بآراء غيره من الأئمة مدعما لفكرة الكتاب، فتراه إن نسب إلى الشافعي قال: ونصه في كتاب الرسالة مثلاً، وإن أخذ من الرازي يقول: وهذا في الأربعين، وإن أخذ من

السمرقندي يقول: وجاء بهذا في البستان، وتارة يقول: وحققه شمس الأئمة الحلواني، والبزدوي، ونقله عنهم صاحب الصحائف، وهكذا استخدم هذا الطريق ناسباً الأقوال في معظمها لأصحابها من المدارس الأخرى، وإن كان النسفي قد حقق بعض المسائل في إجمال، فقد سعي ابن بقيرة إلى التفصيل غير المطرد الذي لا يخرج القارئ من شيء إلى آخر، وعرض ابن بقيرة في شرحه لآراء الفرق الكلامية المخالفة لفرقة الماتريدية، ورد عليها، بشكل موضوعي أحيانا، وبشكل يظهر فيه تعصبه لجماعة الماتريدية.

ولما طالعنا الكتاب بما فيه من هذه الطريقة، رأينا أن نقوم بتحقيقه، من خلال أربع نسخ خطية، إحداها نسخت من نسخة المؤلف نفسه كما نص على ذلك الناسخ، وقد راعينا في تحقيقنا المنهج العلمي المتمثل في إخراج نص الكتاب بصورة ولغة صحيحة، والتعليق على ما ينبغي التعليق عليه، وتخريج ما ينبغي تخريجه، وترجمة للأعلام والفرق والمذاهب ... إلخ.

ومعلوم صعوبة التحقيق العلمي وما يتحمله الباحث فيه من عناء ومشقة في البحث عن كلمة ربما تكون غامضة، أو غريبة على اللغة في عصرنا، ولكن رغبتنا في نشر العلم، وهو باب من أبواب القرب من الله تعالى، وباب من أبواب دوام ذكر المرء بعد موته؛ حالت دون إثنائنا عن الهدف الغالي الذي ندعو الله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يثقل به الميزان يوم القيامة، إنه تعالى نعم المولى ونعم النصير.

المحققان

القسم الأول: الدراسة

ويتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:
الإمام حسن بن أبي بكر المقدسي
عصره وحياته

المبحث الثانى:
دراسة كتاب غاية المرام
في شرح بحر الكلام

المبحث الثالث:
منهج التحقيق ووصف نسخ
المخطوطة

المبحث الأول: ابن بقيرة: عصره وحياته

أولا : العصر الذي عاش فيه

بداية إن أردنا أن نتعرف على ابن بقيرة بدر الدين حسن القدسي، نقدم للعصر الذي عاش فيه باعتبار أن الإنسان وليد بيئته، من خلال الحديث عن الحالة السياسية والعلمية.

أولاً : الحالة السياسية:

في هذه الفترة: ففي سنة ٧٦٧هـ استطاع بطرس لورنيال ملك قبرص نهب مدينة الإسكندرية[١] وفي سنة ٧٦٨ هـ وقع صدام بين الملك الأشرف شعبان بن حسين وبين يلبغا العمري طمعاً في السلطنة، وغلبه الملك الأشرف وقتل يلبغا بعد أن قبض عليه مماليك الأشرف وشهروا به وقطعوا رأسه.[٢] وفي عام ٧٧٥هـ اضطرب فيضان النيل واشتد الغلاء بالناس، وأجهدت السياسة في الخروج بالناس من الأزمة.[٣] وفي سنة ٧٧٨هـ وثبت بعض الأمراء المماليك على الملك الأشرف أثناء ذهابه إلى الحج وقتلوه.[٤] وفي نفس السنة ولي السلطنة الملك المنصور علي بن الأشرف بعد مقتل أبيه وكان عمره آنذاك سبع سنين[٥] وكان لتولي هذا الطفل ظعينة شديدة حيث دب الاقتتال بين المماليك لنيل الحكم والسلطنة، وفي هذه الأثناء بزغ نجم برقوق

---

(١) خطط الشام: محمد كرد علي ٢/٢٣٠ دمشق ١٩٢٥.

(٢) راجع: موسوعة تاريخ مصر، أحمد حسين ط، دار الشعب ج٢ ص٧٣٧.

(٣) بدائع الزهور، ابن إياس، ج ١، ق ٢، ص ٦.

(٤) راجع: القول المستظرف في سفر مولانا الملك الأشرف، أو رحلة قايتباي إلى بلاد الشام ٨٨٢هـ-١٤٧٧م، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ط ١ منشورات برس ١٨٨٤م.

(٥) راجع: ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١ ص ٢٧٦، وراجع: السلوك، المقريزي ج ٣، ق ١، ص ٤٠.

في سنة ٧٨٢هـ.[١] واستجمع برقوق الرئاسة من المماليك البحرية، ثم جعل السلطنة في يد المماليك البرجية[٢] وفي سنة ٧٨٣هـ مات السلطان الملك المنصور علي بن الأشرف وعمره ثنتى عشرة سنة[٣] ثم صارت السلطنة إلى الملك الصالح زين الدين حاجي وعمره تسع سنوات[٤] وفي سنة ٧٨٤هـ تم خلع السلطان الملك الصالح زين الدين حاجي لصالح برقوق حيث أصبح له الكلمة الأخيرة في كل ما يتعلق بشئون الحكم في البلاد ، وآل الحكم حينئذ إلى المماليك البرجية[٥] وفي عام ٧٨٥هـ قام برقوق بخلع الخليفة المتوكل العباسي[٦] وفي سنة ٧٩٠هـ بزغ نجم تيمور لنك ملك التتار وهو ينحدر إلى سلالة المغول وقام تيمور لنك بضم بلاد فارس وأذربيجان وجورجيا وحوض نهر الفولجا وإيران والعراق، واصطدم برقوق مع تيمور لنك أول مرة في ملطية سنة ٧٨٩هـ[٧] وفي سنة ٧٩١هـ حدث تمرد يلبغا الناصري

---

(١) راجع: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ٤٣؛ السلوك، المقريزي ج ٤، ق ٢، ص ٥٨

(٢) راجع: تيمور لنك ودولة المماليك الجراكسة، د.أحمد عبد الكريم سليمان، ط الأولى ١٤٠٥هـ، دار النهضة العربية القاهرة ص٩.

(٣) راجع: بدائع الزهور، ابن إياس ج ١، ق ٢، ص ٢.

(٤) راجع: موسوعة تاريخ مصر ج٢ ص٧٤١.

(٥) راجع: الأثر السياسي والدور الإصلاحي للعلماء في عصر سلاطين المماليك ٦٤٨- ٩٢٣ دراسة حضارية تاريخية، رسالة ماجستير مخطوطة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، إعداد / سماح بنت سعيد عبد القادر باحويرث، إشراف د/ عبد الله سعيد محمد الغامدي سنة ١٤٣١هـ ص١٩٠.

(٦) المصدر نفسه ص١٩١.

(٧) راجع: تاريخ ابن الفرات، ابن الفرات ج ٩، ق ١، ص ١٦،١٥.

أمير حلب على برقوق وانتصرت قواته عليه فدخل دمشق واستولى على قلاعها[١] وفي نفس السنة: هاج الشعب على برقوق لهزيمته، فغلب على أمره وهرب من القلعة مخلوعاً عن الحكم[٢]، وفي نفس السنة ٧٩١هـ: استعاد الملك الصالح المنصور حاجي زين الدين السلطنة، وكان يلبغا هو القائم بأمر السلطنة فاعتقل برقوق وجعله في حصن الكرك معتقلاً رهين الحكم[٣] وقامت معركة طاحنة بين يلبغا ومنطاش فغُلب يلبغا وفر هارباً[٤] وعين منطاش أتابكاً في عهدة السلطان المنصور حاجي زين الدين[٥] وبسبب وقوع الخلاف بين برقوق ومنطاش استطاع برقوق الفرار من السجن والفتك بمنطاش وعسكره وقبض على السلطان حاجي زين الدين، ثم خلعه عن الحكم واستولى مرة ثانية على سلطنة مصر[٦]، وفي سنة ٧٩٥هـ قُبض على

---

(١) هو يلبغا الناصري سيف الدين وهو من أتباع يلبغا الكبير الناصري، فنسب إليه، تولى نيابة حلب،) أظهر العصيان مع منطاش، قبض علية برقوق وقتله بقلعة حلب.ابن تغري بردي.راجع :الدليل الشافي ج ٢، ص ٧٩

(٢) موسوعة تاريخ مصر ج٢ ص٧٤٨.

(٣) راجع: النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي ج ١١، ص ٢١٣؛ المقريزي :السلوك، ج ٣، ق ٢، ص ٥٩٢ لمزيد من التفاصيل عن ثورة يلبغا الناصري على الظاهر برقوق انظر: فائزة الجعيد، حركات العصيان، ص١٤٢.١٤٨.

(٤) موسوعة تاريخ مصر ج٢ ص٧٤٩.

(٥) منطاش الأشرفي،كان يدعى تمربغا، وهو من مماليك الأشرف شعبان، تولى نيابة ملطية؛ لكنه أعلن العصيان وجمع التركمان وكثير من المماليك الأشرفية، حيث دارت بينه وبين نواب حلب حروب انتهت باعتقاله، ثم قتله سنة ٧٩٥ ه /١٣٩٢ م، وقد كان شجاعاً كثير الأعطيات سفاكاً للدماء. الدرر الكامنة، ابن حجر ص ٣٢٢ وما بعدها.

(٦)بدائع الزهور، ابن إياس، ج ١، ق ٢، ص ٤٢٧؛ وراجع:المقريزي :السلوك، ج ٣، ق ٢، ص ٦٩٤ وما بعدها.

منطاش وعلقت رأسه على باب زويلة[١]، ثم قام تيمور لنك بغزو العراق ووقوعها تحت إمرته[٢] وفي سنة ٧٩٦هـ زحف برقوق إلى الشام لملاقاة تيمور لنك ولأمر ما رجع تيمور لنك فاكتفى برقوق بالزحف ثم الرجوع ومات على فراشه سنة ٨٠١هـ[٣] وبموته عم الغلاء وارتفعت الأسعار فعُين الملك الناصر فرج بن برقوق سلطاناً على مصر سنة ٨٠٢هـ[٤]، وفي سنة ٨٠٣هـ حدث أن عاود تيمور لنك زحفه إلى بلاد الشام واستولى على المدينة عنوة، ونكل بأهلها وقتل أكثر من عشرين ألف شخص وأضعافهم من الجوع، وفر السلطان فرج إلى مصر تاركاً دمشق وفلسطين وسوريا تحت رحمة تيمور لنك [٥]،وقام تيمور لنك حينئذ بحرق دمشق عن آخرها، ونكل بأهلها وعاشت البلاد الإسلامية ذعرا لم ير له مثيلاً[٦] وانتقل تيمور لنك لمحاربة بايزيد الملك التركي في أنقرة سنة ٨٠٤هـ وقبض عليه وحبسه داخل قفص حديدي وأذاقه الذل والمهانة حتى مات بايزيد سنة ٨٠٥هـ[٧]، وفي عام ٨٠٧هـ توفي تيمور لنك[٨] وهنا أحس السلطان فرج بالمؤامرات من

---

(١) موسوعة تاريخ مصر ج٢ ص٧٥١.

(٢) راجع: الضوء اللامع، السخاوي ج ٣، ص ٤٤؛ ابن تغري بردي المنهل الصافي، ج ٤، ص ١٦٨، ١٧٤.

(٣) السابق نفسه.

(٤)راجع: إنباء الغمر، ابن حجر ج ٢، ص ١.

(٥) راجع: موسوعة تاريخ مصر ج٢ ص٧٥٤.

(٦) راجع :النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ١٦٣وما بعدها.

(٧) راجع: ابن إياس :بدائع الزهور، ج ١، ق ٢، ص ٦٢٤؛ وراجع موسوعة تاريخ مصر ج٢ ص٧٥٦.

(٨) راجع: وجيز الكلام، السخاوي ج ١، ص.٣٧٧

حوله فاكتفى بالاختفاء تاركاً كل شيء[١]، ثم عين السلطان الملك المنصور عز الدين وعمره عشر سنوات سنة ٨٠٨هـ، وكان الأمير بيبرس هو صاحب الحل والعقد[٢]، وحينما علم السلطان فرج بما حدث رجع إلى ولايته وأرجع أخاه إلى دور الحريم[٣] وأمضى السلطان فرج في الحكم حتى سنة ٨١٥هـ؛ لكنه كان عربيداً شراباً للخمر، وكان لحبه صورة الدم يذبح من المماليك كثيراً، فقد كان يخرج المماليك من سجن القلعة كل يوم ويجري القرعة على من يذبحه، وقيل إنه ذبح من مماليك أبيه أكثر من ألفين، فتآمر المماليك عليه وفتكوا به وقبضوا عليه وأعدموه عن سن ست وعشرين عاماً[٤]، وفي نفس السنة عين الخليفة المستعين بالله وفيها خلع أيضاً[٥]، ثم تسلطن الملك المؤيد أبو النصر شيخ سنة ٨١٧هـ، وفي هذه الآونة حدث عصيان نوروز واعتبر المؤيد هذا عصياناً فقتله[٦]، وفي سنة ٨١٩هـ تفشى الطاعون الأسود في البلاد، وفتك بالناس شر فتك، وازداد معه الغلاء، ولم يفض النيل وفاءاً وأظهر المؤيد قناعة شديدة بالفقراء فأجرى العطاءات لتقليل الغمة على الناس[٧]، وفي سنة ٨٢٤هـ توفي السلطان المؤيد وتولى السلطنة

---

(١) راجع: موسوعة تاريخ مصر ج٢ ص٧٥٦.

(٢) راجع: المقريزي :السلوك، ج ٣، ق ٣، ص ١٦٩؛ وراجع: فائزة الجعيد، حركات العصيان، ص ١٥٩، ١٦٠.

(٣)راجع: الأثر السياسي والدور الإصلاحي للعلماء في عصر المماليك ص٢٠٣.

(٤) راجع:الدليل الشافي، ابن تغري بردي ج ٢، ص ٢٥٠؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٧، ص ١١٢

(٥) راجع:موسوعة تاريخ مصر ج٢ ص٧٥٨.

(٦) راجع: نظم العقيان، السيوطي ص ١٦٨ – ١٧٠.

(٧) راجع: موسوعة تاريخ مصر ج٢ ص٧٦٠.

الملك المظفر أبو السعادات[١] وعمره سنة وثمانية أشهر وحصل على الولاية وهو في حجر مرضعته، وكان صاحب التدبير الأمير ططر[٢] ثم تزوج الأمير ططر من والدة السلطان (خوند سعادات) فتسلطن على البلاد بعد أن خلع السلطان المظفر أبو السعادات، ولما تمكن من السلطنة طلق زوجته (خوند سعادات) وسجنها في ثغر الإسكندرية فدست له السم فمات سنة ٨٢٥هـ[٣]، وفي نفس السنة تولى ابنه الملك الصالح ناصر الدين محمد السلطنة وعمره إحدى عشر سنة، لكن وثب عليه الأمير جاني الصدفي وقبض عليه وأرسله سجيناً إلى ثغر الإسكندرية[٤] ثم ولي السلطنة الملك الأشرف برسباي سنة ٨٢٥هـ، وفي إمرته غزا الأسطول المصري قبرص وضرب أهلها ضربة موجعة[٥]، واستطاع الأشرف برسباي الاستيلاء على قبرص سنة ٨٢٩هـ[٦]، ثم تفشي الطاعون في مصر ومات فيه عدد لا يحصى على ما حكى ابن إياس أنه مات في يوم واحد أربعة وعشرين ألفاً[٧]، وفي سنة ٨٣٦ قاد برسباي حملة تأديبية ضد دولة التركمان حيث أرسل زعيم التركمان قرايلوك التركمان هدية في استخفاف للأشرف برسباي وهي عبارة

---

(١) راجع: شذرات الذهب، ابن العماد ج ٧، ص ١١٢

(٢) راجع: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر" ططر" ، تحقيق هانس أرنست، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٢ م ص١٢.

(٣) راجع: الدليل الشافي، ابن تغري بردي ج ١، ص ١٨٦.

(٤) راجع: موسوعة تاريخ مصر ج٢ ص٧٦٣.

(٥) المصدر نفسه ص٧٦٢.

(٦) راجع: الملحمة المصرية عصر المماليك الجراكسة ورد الاعتبار في عهد برسباي، ١٤٢٦م، القاهرة، - ٨٢٩ هـ /١٣٦٥، ص٢٠.، ط. ١، ٢٠٠٢م، مكتبة مدبولي القاهرة.

(٧) راجع: موسوعة تاريخ مصر ج٢ ص٧٦٤.

عن مرآة وخروف، وخلعة، ورمزيتها أن السلطان وأمراءه نعاج، والمرآة شأنهم شأن النساء، والخلعة رمز لكون برسباي نائباً لقرايلوك، فاغتاظ لذلك برسباي وأهان رسل قرايلوك وخرج بحملة تأديبية وكان بصحبته الخليفة المعتضد العباسي،[١] وحاصر القلعة ولم يتمكن من فتحها، ورجع عنها إلى مصر ثم ثار تمرد آخر من قرايلوك فرجع إليه برسباي وهزمه هزيمة منكرة، وفي هذا العام توفي ابن بقيرة.[٢]

هذه هى الأحوال السائدة السياسية في مصر والشام فترة حياة ابن بقيرة، وكلها دم وطاعون، وحروب وخدع، وثارت الثوائر، وتولي الحكم أطفالا ورضّع، وتأمر المماليك على بعضهم، حتى روي أن الطاعون لما نزل بمصر اجتمع أعيان العلماء في الجامع الأزهر يرفعون أيديهم بالدعاء إلى الله؛ لكن الطاعون ازداد ولم يتناقص على ما حكاه ابن حجر[٣] وفي خضم هذه الظروف والحروب نشأ عدد من العلماء لا بأس به، وألفوا مجموعات من الكتب لا حصر لها، مع أن القاعدة تقول كلما استقرت السياسة استقر الحال للعلماء في طلب العلم، فزاد الأمن وشاعت السلامة، وكلما اضطربت السياسة اضطربت الأحوال العلمية؛ لكن يبدوا أن الله تعالى بقدرته وطلاقتها عكست تلك القاعدة، فظهرت المؤلفات النادرة، وظهر أفاضل العلماء في جميع العلوم،والمذاهب، فظهر علماء الحنفية وبرعوا فيه، وعلماء الشافعية وبرعوا فيه، وعلماء المالكية وبرعوا فيه، وعلماء الحنابلة وبرعوا فيه، ناهيك

---

(١) راجع: المصدر نفسه ج٢ ص٧٦٥.

(٢) راجع الضوء اللامع ج٣ ص٩٥.

(٣) راجع: نهاية الأرب، النويري ج ٣٢، ص ١٢؛ تذكرة الحفاظ، الذهبي ج ٤، ص ٤٨٢ وما بعدها.

عن الانطلاقات العلمية الأخرى كالحساب، والعلوم، وصناعة البارود، وغير ذلك مما عد منارة في العلم وسعياً لتجديد حلقات العلماء، وزخر الأزهر والخانقات بالصوفية وعلمائهم، وعلماء الحديث والرواية، والتفسير، وعلماء الدراية، وعلماء الكلام، ولا حكم في هذا إلا قدر الله ولطفه بهذه الأمة أن يضيع تراثها، فقيض العلماء بالظهور في هذه الحقبة الزمنية حفاظاً على تراث الأمة من الضياع، حتى يتصل ماضيها بحاضرها ومستقبلها، وسنعرض طرفاً من هذه الحياة العلمية في هذه الفترة مقتصرين على عرض أسماء العلماء الذين يبرزوا في هذه الفترة، وبعض المؤلفات التي ما يزال لها أثر وتاريخ حتى يومنا هذا.

الحياة العلمية فيما بين عامي ٧٦٦هـ / ٨٣٦هـ

ظهر هذا العصر متناقضاً فيما بين الأحوال السياسية المتوترة، والحالة العلمية الزاهرة التي كان لها معياراً آخر في الظهور، وكأن الناس لما رأوا كثرة الموت والقتل في الحروب والغارات التي تشنها البلاد على بعضها، أو يشنها المماليك على بعضهم البعض، ورأوا سوء الاقتصاد نظراً لذلك، كل ذلك أجهدهم ووجههم إلى البحث والتقصي في العلوم الدينية بخاصة، والعلوم العربية والتاريخية وما بني عليها بعامة، ودليل ذلك أنا وجدنا كثرة من العلماء ظهروا ظهوراً فاق الجميع في هذا العصر، بل وقد تنافس المماليك في مصر والشام في بناء المدارس والمساجد وإنشاء دور الكتب، وأوقفوا عليها الأوقاف، وأجروا على طلابها الجرايات، فرأينا مدارس نبغ فيها الأحناف، ومدارس كانت للشافعية، وأخرى للمالكية، ورابعة للحنابلة، وظهرت مدارس للتفسير، وأخرى للحديث، وأخرى للمنطق، والقراءات

وذكر المقريزي في خططه[١] عشرات المدارس التي أنشئت في هذا العصر، وكذا ذكرها النعيمي في كتابه الدارس في تاريخ المدارس[٢]، وقد عد النعيمي أكثر من مائة وسبعاً وخمسين مدرسة موزعة على مذاهب الفقهاء، مع كون الشام قد فقدت الشام كثيراً من هذه المدارس في فتنة تيمور لنك سنة ٨٠٣هـ.، ولا تقتصر المسألة على المدارس بل لحق بكل مدرسة خزائن للكتب تحوي كل نفيس ومخطوط، وراجع على سبيل المثال: مدرسة القبة المنصورية[٣] والطبيرسية[٤] والسابقية الشافعية[٥] والمدرسة البشيرية[٦] ومدرسة الجاي[٧] ومدرسة جمال الدين الاستادار[٨] والعمرية، والمنصورية[٩]،

---

(١) راجع: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار لتقي الدين المقريزي ٦٣٢/٢ وما بعدها.

(٢) انظر: الدارس في تاريخ المدارس، للنعيمي، تحقيق جعفر الحسني، ج١ ص٢، منشورات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٤٨م.

(٣) راجع: أنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر العسقلاني ج١ ص٨٣؛ وراجع: العبر في خبر من غبر للذهبي ج١ ص٢٨٥؛ وراجع: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردي ج١ ص١٠٢.

(٤) راجع: تاريخ ابن الفرات م٩ ج١ ص١١١.

(٥) راجع: التعليم في زمن الأيوبيين والمماليك د/ عبد الغني محمود عبد العاطي ط دار المعارف ص١٨٧.

(٦) المصدر نفسه ص١٩٨.

(٧) راجع: أنباء الغمر بأبناء العمر ج١ ص٢٠؛ وراجع: الضوء اللامع ج٤ ص٥٧.

(٨) راجع: المقريزي: الخطط ج٢ ص٣٨٢

(٩) راجع: المقريزي، السلوك ج٤ ق١ ص٤٨٤.

والعادلية، والأشرفية، والشيخونية[١] والنورية[٢]، وظهرت حلقات دراسة القرآن والذكر، والتفسير والنحو والفقه والأصول والطب، وقد انتشر في مدارس ثلاث عدها النعيمي في كتابه وهم المدرسة الدخوارية، والمدرسة الدنيسرية، والمدرسة اللبودية النجمية[٣] لهذا سنعرض على سبيل العرض فقط أسماء بعض العلماء الذين برزوا خاصة في السنوات التي شهدت حياة ابن بقيرة القدسي، ومن هؤلاء العلماء على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

١-شمس الدين الذهبي ٧٨٤هـ.

٢-ابن كثير ٧٧٤هـ.

٣-عبد الرحمن بن خلدون ٨٠٨هـ.

٤-ناصر الدين بن الفرات ٨٠٧هـ.

٥-ابن حجي الحسباني ٨١٦هـ.

٦-ابن دقماق ٨٤٥هـ؟

٧-ابن قاضي شهبه٨٥١هـ.

٨-تقي الدين المقريزي ٨٤٥هـ.

٩-تاج الدين السبكي ٧٧١هـ.

---

(١) راجع: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر العسقلاني ج١ ص٣٢٩؛ وراجع: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ج٢ ص١٠٣؛ وراجع: غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري ج١ ص٣٨٣.

(٢) راجع: العبر في خبر من غبر ج١ ص٣٢٦؛ وراجع: الضوء اللامع ج٤ ص٣٠؛ وراجع: سمط النجوم العوالي في إنباء الأوائل والتوالي للعصامي ج٢ ص٢٨٥؛ راجع: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي ج٣ ص١١٣.

(٣) راجع: الدارس في تاريخ المدارس ج٢ ص١٣٣،١٢٧، ١٣٥،

١٠-ابن أبي الوفاء القرشي ٧٧٥هـ.

١١-ابن عربشاه ٨٤٥هـ.

١٢-شمس الدين الطولوني ٨٠٢هـ.

١٣-أحمد بن إسماعيل الأبشيطي ٨٣٥هـ.

١٤-على بن إبراهيم بن الشاطر الفلكي ٧٧٧هـ.

١٥-أحمد بن رجب بن طبيغا ٨٥٠هـ.

١٦-القاضي ابن عقيل ٧٦٩هـ.

١٧-بدر الدين الدماميني ٨٢٧هـ.

١٨-أكمل الدين البابرتي٧٨٦هـ.

١٩-ابن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ.

٢٠-ابن نباته المصري ٧٦٨هـ.

٢١-أحمد بن إبراهيم الدمشقي ٨١٤هـ.

٢٢-بدر الدين البشتكي ٨٣٠هـ.

٢٣-ابن حجة الحموي ٨٣٧هـ.

٢٤-محمد بن أحمد المحلى الأبشيهي ٨٥٠هـ.

٢٥جمال الدين الأسنوي ٧٧٢هـ.

٢٦-شهاب الدين البقاعي الدمشقي ٧٩٥هـ.

٢٧-جمال الدين بن السراج الدمشقي ٧٧١هـ.

٢٨-عمر بن إسحاق الغزنوي ٧٧٣هـ.

٢٩-شمس الدين بن مفلح ٧٦٣هـ.

٣٠-محمد بن يعقوب الفيروزأبادي ٨١٧هـ.

٣١-بن رجب الحنبلي ٧٩٥هـ.

٣٢-عمر بن رسلان البلقيني ٨٠٥هـ.

٣٣-عبد الرحيم بن الحسين العراقي ٨٠٦هـ.

٣٤-محمد بن بكر بدر الدين الدماميني ٨٢٧هـ.

٣٥-تقي الدين الدميري ٨٤٢هـ.

٣٦-بدر الدين محمود بن احمد بن موسى بن احمد العينتابي الحنفي ٨٥٥هـ.

٣٧-الحسن بن بقيرة ٨٣٦هـ. وهو ما سنترجم له في اللاحق.

وكان لهؤلاء جميعاً مؤلفات كثيرة ما زال صداها إلى اليوم في مسامع الشرقيين والغربيين على السواء، والجميع ترك مؤلفات تكتب بماء الذهب سواء في العقيدة على تنوعها، أو القراءات أو الهندسة، أو الفلك، أو الطب، ولم لا؟ وهؤلاء تتلمذوا على أمثال الإيجي، والتفتازاني، والرازي ممن سبقهم في العصر الماضي عليهم، فالحروب لا تقطع العلم، والتفاف الناس حول الدين تؤيده وتؤكده الأزمات، فكلما اشتدت الأزمات على الناس التجئوا إلى الدين علهم يجدون فيه مخلصاً لهم، وبهذا التفكير كانت النبغة في العلوم الدينية ومتعلقاتها، فلا عجب من سوءة الحياة السياسية، وزهوة الحياة العلمية.